ومن هنا كان يرد على كل من يطلب منه أن يجالس أهل القرار أو ذوي السلطان بالقول الهادئ: لا أريد أن أجالس هؤلاء الرسميين, ويكفينا أن نبقى مع طبقة البسطاء من الناس امتثالاً لقول الرسول ﷺ:(وهل ترزقون إلا بضعفائكم؟).

لقد كان من طبيعة الشيخ ألا يرد دعوة من أخوانه, خاصة أيام سفره وجولاته في البلدان, ولكن كان لا يحب التكلف في الموائد فكان يقول لكل من يدعوه بأن يجعل قيمة وتكاليف هذه الدعوة وما يرافقها من ولائم للمجاهدين وأنا سأزورك في بيتك زيارة خفيفة نتناول معكم كوباً من الشاي, إلا أنهم كانوا يصرون على دعوته وعمل ولائم ويقولون له: سندفع قيمة الوليمة للمجاهدين ومع هذا سنعمل وليمة على شرفكم.

وهكذا يتفاجأ الشيخ – ذات يوم وقبل استشهاده بأشهر – بدعوة من قبل أحد المتعاطفين مع الجهاد على وليمة، وإذا بأمير من الأمراء وحاشيته من ضمن المدعوّين إلى هذه الوليمة, وهنا يبادر الأمير الشيخ بسؤال مباشر ليطلب منه الجلوس معه, إلا أن رجلاً قيادياً كالشيخ لا يمكنه أن يتهرب أو أن يتخلى عن مسئولياته في المواجهة, حيث كان يرى أن العبرة في مثل هذه المواقف ليست في الجلسة نفسها وإنما العبرة بما يدور بداخلها.

ويا للعجب لهذا الزمان الذي كنا وما زلنا نرى فيه كبار القوم يهرولون نحو الأمراء والحكام ليكون لهم مكانةٌ رفيعةٌ عندهم أو ليستجلبوا عطفهم أو لتسلم رؤوسهم من الملاحقة والمطاردة من قبل جلاوزة السلطان, نرى اليوم نموذجاً آخر وبمعادلة عكسية تتحقق على أرض الواقع ألا وهي ملاحقة الأمراء للعلماء يستجدونهم للجلوس معهم, وهذا والله قلب لكل الموازين الأرضية في الوقت الحاضر.. إنها العزة (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين).